

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٣٣)

تفريغ كلمة بعنوان:

التحذير من فتنة المال

وأثرها في الانحراف المنهجي

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المذخلي حفظه الله

اعتناء

أبي قصى المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بسم الله الرحمن الرحيم

التحذير من فتنة المال وأثرها في الانحراف المنهجي

لفضيلة الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله - (١)

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أَمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل

محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أَمَّا بعد:

فإنَّ المسلم في هذه الحياة لا بد وأن يجد فيها أحياناً ما يسُرُّه، وأحياناً ما يسوءه، **فالحال لا**

تستمر على وتيرة واحدة فهي تتقلب.

والله - سبحانه وتعالى - يتلي عبادهم ويختبرهم لينظر كيف يعملون، يبتليهم ويختبرهم

ليعلم الصادق من الكاذب، يبتليهم ويختبرهم ليعلم المؤمن من المنافق.

(١) وهي كلمة توجيهية ألقاها فضيلته بالمدينة النبوية حين لقاءه بالإخوة من العراق ليلة الأحد، ٤ جمادى الأولى ١٤٣١ للهجرة.

﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١-٣].

فالله يبتلي عباده بالسراء والضراء، فبعض الناس يُبتلى بالسراء فينكص على عقبيه، وينقلب على عقبيه، وتتبدل حاله من حالٍ حسنة أيام الفقر والضعف والقلّة، إلى حالٍ سيئة في أيام السراء، والعكس؛ فقد يكون على حالٍ تسرٍّ، واسعة، رغدٍ في العيش، بسطٍ في الرزق، صحة في الجسم، أمانٍ في الوطن، عافية في الأبدان، سلامة في الأديان، ثم بعد ذلك يُبتلى فينتكس بعد ذلك، والله في ذلك الحكمة البالغة -جل وعلا-، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فالله يبتلي عباده بهذا وهذا، وإنَّ الإنسان إذا ما نظر في هذه الحياة الدنيا، ونظر كيف حال رسول الله ﷺ، وكيف كان حال أصحابه -رضي الله تعالى عنهم-، استفاد الفائدة الصحيحة، وإن هو أغفل ذلك ولم ينظر إليه، فإنه لن يستفيد الفائدة الصحيحة، فالله -سبحانه وتعالى- قد ابتلى عباده المؤمنين بالسراء والضراء.

وإنَّ من أعظم ما يُبتلى به الناس اليوم نعمة السراء؛ المال، والمال فتنة، المال يميل بقلوب الرجال.

وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فيما صح عنه: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ) (١).
(فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ) (٢).
فالمال يميل بالرجال إلا من عصم الله وثبته.

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (٢٣٣٦)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم (٥٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣١٥٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٩٦١).

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿١٥﴾ [التغابن: ١٥].

فالله - سبحانه وتعالى - يبتلي عباده، وكم، وكم، وكم، تنظر فترى فتنة الناس بالمال لا تُعدُّ ولا تحصى، وقد تؤدي الفتنة بالمال إلى الكفر بالله - تبارك وتعالى -، والاستمرار عليه، والعنجهية في ذلك، كما حصل لفرعون، وكما حصل لهامان وقارون، فأنكروا ما أخبر الله - سبحانه وتعالى - به عن نفسه وعلى لسان رسوله إليهم ﷺ موسى.

قال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨] حاكياً ربنا - تبارك

وتعالى - عنه، وعن مبلغ كبره ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿٥٢﴾ [الزخرف: ٥٢].

فأخبر - سبحانه وتعالى - بحال هذا الرجل: ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ ﴿٥٤﴾ [الزخرف: ٥٣-٥٤].

صدقوه، فتبعوه، وكذبوا موسى - عليه الصلاة والسلام -، فالمال فتنة، قصة قارون ليست ببعيدة.

فلهذا خشي النبي ﷺ على هذه الأمة المرحومة خشي عليهم فتنة الدنيا، خشي عليهم فتنة

المال وأخبر أنها فتنة عظيمة، وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر - وهو الصادق المصدوق ولو لم نَرَ نحن الحدث -، فكلامه صدق، وحكمه عدل - صلوات الله وسلامه عليه -، لأنه وحي من الله، ووحى الله إن كان حكماً فهو عدل، وإن كان خبراً فهو صدق وحق.

فالخاص: أخبر - عليه الصلاة والسلام - أن هذه الأمة فتنتها في المال.

ونحن نرى كثيرًا من الناس يكون على حالٍ سَوِيَّةٍ، في العلم والتعلم والتمسك بالسنة والاتباع لها والدعوة إليها، والولاية لأهلها، والبراءة ممن خالفها، والحرص على هدايته إن كان جاهلاً، ودعوته إن كان متعلماً أو عالماً.

فإن رُئِيَ منه العناد والكبر؛ فالحرص على البُعد عنه، ومعاداته في ذات الله -تبارك وتعالى-، لأنَّ هذا أوثق عُرى الإيمان، (أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ) (١).
فكثير من الناس تراه بينما هو على هذه الحال إذ يدرج إلى قلبه المال، فيتعلق به، فيفتن بصره، ويتعلق بنياط قلبه، وإذا بك تراه قد انقلب شيئاً فشيئاً، فارتكس وانتكس، نسأل الله العافية والسلامة.

وفي هذا وأمثاله يقول النبي ﷺ: (تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) (٢).

وكان -عليه الصلاة والسلام- يُعْطِي الرجل ويدع غيره، والذي يدعه أحب إليه ممن أعطى، مخافة أن يكبَّه الله في النار.

ونحن نرى -كما قلت لكم- في هذه الآونة كثيرًا ممن يكون على الحالة السابقة التي ذكرناها، فيدبُّ إلى قلبه حب المال، فيفسد عليه دينه، ويدبُّ به حب الدنيا، فيفسد عليه دينه.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٨٥٢٤)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم (٩٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٨٨٧) ولفظه: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ).

وقد ضرب رسول الله ﷺ في هذا المثل العظيم، كما ذلك جاء في الحديث الصحيح في الترمذي^(١) وغيره^(٢) ومسند أحمد^(٣)، أنه قال: (مَا ذُبَّانٍ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ).

حب الرياسة والوجاهة وحب المال، ذبَّان جائعان أُرْسِلَا في غنم، ماذا تتصورون يعملون فيهما؟ يلعبون فيهما لعب، هذان الذبَّان الجائعان لا يأخذان فقط حاجتهما من الأكل، وإنما يفسدان الغنم إفسادًا عظيمًا.

فما هذان الذبَّان الجائعان اللذان أُرْسِلَا في هذه الأغنام بأفسد لها من حب الإنسان للشرف والمال لدينه.

فحب الولايات والزعامات أفسدت كثيرًا من الناس، لا يريد إلا أن يكون متبوعًا، حتى ولو كان على الباطل، ويجب الزعامة والوجاهة وان يكون رأسًا، فلا بد وأن يستقل، ولا بد وأن يخالف لأن الشيطان يأتيه، فيقول له: لقد قرأت القرآن، وتعلمت فما لهم لا يتبعونك كما يتبعون فلان؟ ما هم بمُتَّبِعِي إِلَّا أَنْ أُحْدِثَ لَهُمْ، فيُحْدِثُ لَهُمْ على خلاف السنة لأجل أن يتبعوه^(٤)، ثم يستقل بهؤلاء ليكون رئيسًا عليهم.

وهكذا المال، ونحن نرى كثيرًا ممن ابتلي بسبب هذا، فانتكس من حالٍ إلى حال، من حالٍ صالحة طيبة إلى حالٍ خبيثة سيئة بسبب المال، **فترى هذا يذهب مع الحزبيين**، لأنهم

(١) برقم (٢٣٧٦).

(٢) في "سنن الدارمي" برقم (٢٧٧٢).

(٣) برقم (١٥٧٨٤).

(٤) جاء هذا المعنى في "سنن أبي داود" برقم (٤٦١١) وغيره، عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أنه قال: (إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ فَتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَيَأْخُذُكُمْ وَمَا أَبْتَدِعَ؟ فَإِنْ مَا أَبْتَدِعَ ضَلَالَةً).

أعطوه وظيفة، أو أعطوه مالا، أو أعطوه سيارة، أو وَلَّوه رئاسة المكتب الفلاني في بلده ونحو ذلك.

وهذا يذهب مع الجمعية الحزبية الفلانية المعروفة لأنها تدعمه، أو سيطمع منها أن تدعمه، أو يطمع فيها أن تفتح له مركزا، أو يطمع أن تدعم له مسجداً، ونحو ذلك، فيبيع دعوته الصحيحة ودينه الصحيح، التي كان يوالي ويعادي عليها في ذات الله -تبارك وتعالى-، وإذا بك تراه مع هؤلاء المغموصين المطعون فيهم وفي عقائدهم، بل هو بالأمس ربما كان يتكلم فيهم، فيرميهم بالتحزب، ويرميهم ربما بالبدعة، ونحو ذلك، وإذا به اليوم قد انتكس، فإذا بهؤلاء الذين بالأمس يطمعن فيهم يزكِّيهم اليوم أو يدافع عنهم.

فصدق أحمد -رحمه الله- مع الفرق العظيم، حينما قال لعلي بن المديني وقد أجاب متأولا في فتنة القول في خلق القرآن، وعلي بن المديني كان بينه وبين أبي دؤاد صلة، وكان يُغْدِق عليه باسم الحاكم، فلم يَزَلْ به وهو إمام من الأئمة حتى وقع فيه ما وقع، وأجاب مداراةً وخوفاً لا اعتقاداً، ومع ذلك ما قَبِلَ أحمد منه -رحمه الله ورضي عنه- قال: لا، أنت لأنك يُشار إليك بالبنان، يعني محل اتباع، ما قَبِلَ أحمد منه، وكتب له تلك الأبيات:

يَا ابْنَ الْمَدِينِيِّ الَّذِي عُرِضَتْ لَهُ	دُنْيَا، فَجَادَ بِدِينِهِ لِيْنَآهَا
مَاذَا دَعَاكَ إِلَى انْتِحَالِ مَقَالَةٍ	قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ كَافِرًا مَنْ قَالَهَا؟
أَمْرٌ بَدَا لَكَ رُشْدُهُ فَتَبِعْتَهُ	أَمْ زَهْرَةُ الدُّنْيَا أَرَدْتَ نَوَاهَا؟
وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ مَرَّةً مُتَشَدِّدًا	صَغَبَ الْمَقَالَةَ لِلَّتِي تُدْعَى هَا
إِنَّ الْمُرَزَّى مَنْ يُصَابُ بِدِينِهِ	لَا مَنْ يُرَزَّى نَاقَةً وَفِصَالَهَا (١)

(١) الأبيات ذكرها الذهبي في "السير" (١١/٣٢٤)، وغيره، علماً أنَّ الشيخ ذكر البيتين الأولين والآخر، وقد أوردتها كاملة لأهميتها، والله الموفق.

هذا هو المُرْزَى، الرِّزْيَةُ أن تحل بالدين، هذه هي الرِّزْيَةُ، ما هو^(١) ذهاب الناقة ولا
الفصيل، وأُلقيت إلى علي بن المديني في بيته، فقرأها، وجاء بها إلى بن أبي دُوَاد، فقال: (ما أظنها
إلا من أحمد)، أو كلمةً نحوها، فإذا كان هذا علي بن المديني، **الإحسان إلى القلوب يستميل**
الناس.

فالذي أوصي به نفسي وإخواني:

الصدق مع الله - تبارك وتعالى -، والثبات على هذه الدعوة السلفية المباركة الصحيحة
التي هي ميراث رسول الله ﷺ ورثناه.

قال - عليه الصلاة والسلام - : (افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) أو: (مِلَّةً)
والألفاظ في هذا متعددة، (وافتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)، في رواية: (مِلَّةً)،
ويروى في الموضوعين: (كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً)، (كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً)، (وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ
الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً) من هم؟ قال: (مَنْ كَانَ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ
وَأَصْحَابِي)^(٢)، وفي اللفظ الآخر: (الْجَمَاعَةُ)^(٣).

والجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحداً.

والمصيبة أن تترك الذي كنت تعرفه بالأمس وتراه حقاً، وترك ما كنت تراه بالأمس
منكراً وباطلاً فتراه اليوم حقاً، **فالتلون في دين الله لا يصلح**، ودين الله واحد، والحق قديم.

(١) أي: ليست.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في "جامعه" برقم (٢٦٤٠) وقال: (حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في "سننه"
برقم (٣٩٩١)، وأحمد في "مسنده" برقم (٨٣٩٦)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم (٢٠٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٣٩٩٢)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم (١٤٩٢).

واعلم أنك إن فعلت ذلك وحاولت المغالطة فإنَّ الله يكشفك، والناس يعرفون منك، فالخبيرون بك والمتابعون والعارفون بحالك وسيرتك يعرفون، هل أنت بالأمس كاذب أو اليوم كاذب.

فهذه الآن الرِّزِيَّة كل الرِّزِيَّة؛ أننا كل يوم نرى بعض إخواننا يتساقطون، ويتهافتون على المال فيميل بهم، فبالأمس الجمعية الفلانية حزبية واليوم سلفية!، أكبر من ينشر الدعوة السلفية في العالم!، وبالأمس الجمعية الفلانية كذا واليوم كذا!، وبالأمس هذا حزبي واليوم صار أخوه!، وهكذا.

فأوصيكم -معشر الإخوة والأبناء-:

بالثبات على دين الله -تبارك وتعالى-، **ومعرفة الحق بدلائله**، تعرفون من كان عليه، فإنَّ الرجال يعرفون بالحق، والحق ما يعرف بالرجال، الرجال هم الذين يعرفون بالحق، بماذا؟ بالدلائل التي قامت على هذا الحق واضحة جلية ساطعة من كتاب الله -تبارك وتعالى-، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال أصحابه -رضي الله تعالى عنهم-، وعبارات السلف الصالحين.

فنحن نزن الناس بهذه الأشياء، فمن كان عليها فهو السلفي حقاً، ومن خالفها فليس بسلفي وإن ادَّعى وملاً الدنيا صُراخاً.

ولنعلم أنَّ دين الله واحد، والحق واحد لا يتعدد، **والتلون في دين الله من أعظم البلايا، ومن أكثر مخالطة أهل الأهواء ومداخلتهم فإنه سيكثر التَّنَقُّلُ**، اليوم على وجه، وغداً سيكون على وجه، وبعد غدٍ سيكون على وجه، حتى يعود أخس مما كان عليه من ينتقدهم هو بالأمس.

فأوصي إخواني وأبنائي بالثبات على هذا، **ووزن الرجال بالدليل الذي كان عليه رسول**

ﷺ وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم-، وعليه عبارات السلف الصالحين.

فإنَّ من وزن الناس بهذا لا يكاد يخطئ، ومن نظر إلى مناصبهم أو مراكزهم أو نحو ذلك، فإنَّ هذا لا بد أن يخطئ، **هذا أولاً.**

وثانياً: أوصيكم بالحرص على السبيل لتصحيح هذا الميزان، ألا وهو العلم، طلب العلم الشرعي الصحيح، فإنَّ هذا الميزان لا يُحسَّن أن يزن به إلا من كان على درجة من العلم.

وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ يَسْتَوِيَانِ
وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ
نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ وَطَبِيبُ ذَاكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي (١)

اليوم يأتي الفُروخ يطلع من البيضة، يظن نفسه مثل الديك، لا يحسن أن يصيح فيرى

نفسه مثل الديك، الذي إذا صاح أسمع البلدة كلها والقرية كلها، هذا غير صحيح.

فمن رسخت قدمه في الدعوة، وشابت لحيته ورأسه فيها، وطال عمره، وعالجها وعرفَ

أهلها على مرِّ الدهور، لا يمكن أن يكون الأحداث (٢) مثله بحالٍ من الأحوال.

ومن شهد له أئمة الدين والهدى بالاستقامة على دين الله وعلى طريق الخير والحق

والهدى، لا يمكن أن يزحزك عنه أو يزلزلك عن الجلوس إليه كلام من لا يوثق به ولا يؤبه

به، بل ولا ينظر إليه.

فالواجب علينا جميعاً:

أن نسلك هذا الطريق، طريق التعلم والإتقان لطرائق الاستدلال، التي يُعرف بها كيفية

الاستدلال، وهذا لا بدَّ فيه من معرفة أصول الفقه، كما أنه لا بد في معرفة الدليل وثبات

الدليل وصحة الدليل، لا بدَّ فيه من معرفة أصول الحديث، فهنا لا بد من معرفة أصول الفقه،

(١) هذه الأبيات من "نونية ابن القيم" - رحمه الله -.

(٢) أي: صغار السن، قليلي العلم.

حتى تعرف كيف تستدل، وتثبت حجتك بالدلائل الواضحة، وتعرف كيف ترد على المغالطين، فإنَّ المغالطين اليوم كثير - لا كثرهم الله -.

فأوصيكم إخواني وأبنائي:

بالجدِّ في التعلُّم، والأخذ بحزم وبقوة في هذا العلم الشرعي، فإنَّ المتلاعب لا يكشفه إلا العلم الشرعي، المتلاعب الذي عنده آلة وعنده معرفة وعنده علم لكنه متلاعب، لا يكشف إلا بمعرفة العلم الشرعي، لأنك تعامله من نفس ما يعاملك.

فأوصيكم بالحرص على الازدياد من العلم:

فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَا وَصَلَاحُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ^(١)
فترغم عدوك، وتصلح عملك، وكفى بهاتين فائدتين عظيمتين لهذا العلم الشرعي.

فأوصيكم -معشر الأبناء-:

بالحرص على الازدياد من العلم؛ لإرغام عدوكم، فلا يجد مدخلا عليكم، والعدو عام من الإنس والجن، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأَنْعَامُ: ١١٢-١١٣].

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والبصيرة في الدين والفقه فيه، والثبات عليه حتى نلقاه.

كما أسأله -سبحانه وتعالى- أن يُجَنِّبنا وإياكم مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، صواباً على سنة رسوله ﷺ، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) هذا البيت من "لامية ابن الوردي" -رحمه الله-.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا
محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان^(١).

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

— عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ —

فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ عَامٍ وَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ

(١) تمت الكلمة، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ وسهوَ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.